ومضـــات فكر

للاســتاذ أنور المعداوى

أفق ... وأفق !

مسيو أندريه جيد — كما لا يخفى على القراء — عميد من عمداء الأدب الفرنسي المعاصر ، وكاتب لم يشأ أن يحتل مكانه في الأكاديمي فرانسيز ، وهو بعد ذلك قد ظفر بجائزة نوبل للأدب عن عام ١٩٤٧ ، ولكن منزلته الأدبية ظلت فترة طويلة وهي مترجحة بين آراء النقاد من خصومه وأنصاره ؛ أما خصومه فينظرون إليه نظرة قوامها أن شهرته أكثر من علمه . وما زلت أذكر رأي الناقد الفرنسي هنري بيرو في أندريه جيد حين وصفه بأن عقليته منظمة ولكنها قليلا ما تبدع ، وأنه كاتب ضيق الأفق إذا ما قيس بغيره من أصحاب الآفاق الرحيبة ! وكنت أقول لنفسي إن بيرو ينفس على الرجل شهرته ، وإن رأيه فيه رأي أملاه الهوى ولعل ما بينهما من خصومة قد دفعه إلى أن يهاجم فنه بهذا النقد الذي يفيض قسوة ومرارة .

كنت أقول لنفسي هذا قبل أن أقرأ « الباب الضيق » لأندريه جيد ، ورسالته إلى معربه حين سأله أن يأذن له بنقله إلى العربية ... ولكني رجعت بذاكرتي إلى الوراء بعد أن قرأت رسالة الأديب الفرنسي إلى معرب كتابه ؛ رجعت بذاكرتي إلى رأي هنري بيرو في أندريه جيد حين وصفه بأنه كاتب ضيق الأفق إذا ما قيس بغيره من أصحاب الآفاق الرحيبة ، وانتهيت إلى أن بيرو قد يكون متجنيا في اتهاماته الأخرى ، ولكنه لم يعد الحق حين رمى جيد بضيق الأفق ! ولعل أقوى دليل يمكن أن أقدمه إلى القراء هو أن أنقل إليهم فقرات من رسالته إلى معرب كتابه « الباب الضيق » يقول فيها « ... ترجمة كتبي إلى لغتكم ؟ إلى أي قارئ يمكن أن تساق ؟ وأي الرغبات يمكن أن تلبي ؟ ذلك أن واحدة من الخصائص الجوهرية في العالم المسلم، فيما بدا لي ، أنه وهو الإنساني الروح يحمل من الأجوبة أكثر مما يثير من أسئلة . أخطئ أنا ؟ هذا ممكن . ولكني لا أحس قط كثير قلق في نفوس هؤلاء الذين كونهم القرآن وأدبهم فإنه مدرسة للطمأنينة قلما تغري بالبحث ، وهذا فيما أظن هو الذي يجعل تعليمه محدوداً ! وأحسب أن ليس في كتبي كلها أبعد عما يشغل نفوسكم من كتابي « الباب الضيق » ، فيم يستطيع هذا الظمأ الصوفي الذي صورته هنا أن يمس نفوساً هي قعيدة اليقين » ؟

إن رجلا هذه نظرته إلى من كونهم القرآن وأدبهم لرجل ضيق الأفق ما في ذلك شك ؛ وإن الحياة العقلية في الإسلام ، تلك الحياة المليئة بالنضال الفكري في القرنين الأول والثاني للهجرة ، والتي كانت ميداناً هائلا لتطاحن الآراء والأفكار حول هذا الدين وما يثيره في النفوس من قلق وجدل وأسئلة ، لتزلزل كل كلمة من كلمات أندريه جيد . إنه لم يقرأ شيئاً عن الفرق الدينية المختلفة التي لنا في فضلها الفكري من أدب وعلم وفلسفة تراث قد تعتز به العربية على مر الأجيال ! ولو أنه قرأ ما كتبه المستشرق الألماني جولد تسيهر عن العقائد الإسلامية ، أو ما كتبه المستشرق الفرنسي لويس ماسينيون عن التصوف الإسلامي ، لما هرف بما هرف ، ولما أرسل القول على عواهنه ؛ ولكنه كما قال هنري بيرو بحق : كاتب ضيق الأفق إذا ما قيس بغيره من أصحاب الآفاق الرحيبة !

هذا أفق ضيق نضعه أمام أفق آخر لأديب آخر هو توماس كارلايل في كتابه « الأبطال » ، ولو أن الزاوية التي نظر منها كارلايل إلى الإسلام تختلف من الزاوية التي نظر منها جيد ، ولكنها زاوية تضع الفارق بين أفقين على كل حال . يقول كارلايل « في الإسلام خلة أراها من أجل الخلال وأشرفها ألا وهي التسوية

طويلا إلا إذا تولى أمورها فلاسفة . لأن الفلاسفة تنطبع نفوسهم على حب العدالة بحكم فلسفتهم . وإدارة الدولة لا تحتاج إلا إلى كثير من العدالة وقليل من العلم .

الأمم الآن فقيرة بفلسفة أفلاطون وغنية بفلسفة نيتشه الذي نادى بالسوبرمان (الإنسان المتفوق) . فتفوق من أتباعه على غرار فلسفته غليوم الثاني وهتلر الأول . فذهبا ضحية فلسفته — رحم الله الثلاثة جميعاً .

نقولا الحداد

بن الناس ، وهذا يدل على أصدق النظر وأصوب الرأى ، فنفس المؤمن راجحة بجميع دول الأرض ، والناس فى الإسلام سواء ، الإسلام لا يكتفى بجعل الصدقة سنة محبوبة بل يجعلها فرضاً حتما على كل مسلم وقاعدة من قواعده ، ثم يقدرها بالنسبة إلى ثروة رجل فتكون جزءاً من أربعين من الثروة تعطى للفقراء والمساكين.

جميل والله كل هذا ، وما هو إلا صوت الإنسانية ، صوت الرحمة والإخاء والمساواة ينبعث من فؤاد ذلك الرجل محمد ، من القفار والصحراء » ...

كلام أديب ؛ حين يكون الأدب ومضة فكر ، وخفقة قلب ، واستجابة شعور . وحديث عالم ؛ حين يكون العلم سمة اطلاع ، ورحابة أفق ، وسلامة تقدير !

كرامة فنان :

هذه قصة عن العبقرى الإيطالى مايكلانجلو ، قليلة الألفاظ لكنها كثيرة المعانى ... وتستطيع بعد قراءتها أن توافقنى على أن خير عنوان يمكن أن يوضع لها هو هذا العنوان « كرامة الفنان » .

إنها قصة فريدة تتمثل فيها غيرة الفنان على فنه ، وثورته على كل من يمس كرامة العبقرى أو ينال من جلالها ، ولو كان المعتدى هو البابا يوليوس الثانى ... ! قرأت هذه القصة وعجبت كيف يجرؤ مايكلانجلو على أن يقف من البابا موقفاً لا يستطيع أن يقفه ملك من ملوك أوربا فى القرن السادس عشر ! ولكنه الفنان ... الفنان الذى كان يشعر فى أعماق نفسه أن قداسة فنه لا تقل منزلة عن قداسة الكنيسة !

لقد ترامت إلى البابا أنباء العبقرى الشاب الذى بهر فلورنسة بعظمة آثاره الفنية فى الرسم والنحت ، فأرسل يستدعيه ليزين جدران القصر البابوى وردهاته بمعجزات فنه الخالد . . . ومثل رجل الفن أمام رجل الدين ، وكان لقاء أفاض فيه البابا على الفنان كثيراً من عطفه وتشجيعه . . وحين طلب أنجلو مائة ألف « سكودى » أجراً لعمله قال البابا : فلتكن مائتى ألف يا سيدى ! .. وبدأ الفنان العظيم يستلهم الوحى فى صوره وتماثيله ، ويبعث فيها الحياة تنبض فى كل ناحية من نواحيها ، مما جعل يوليوس يحله من نفسه مكاناً لا يدانيه مكان . ودب الحقد والحسد فى نفوس رجال القصر لهذه المنزلة الرفيعة التى حظى بها أنجلو فوشوا به إلى البابا .. وبفاجأ يوماً بأحدهم يقول له فى لهجة لا تخلو من وقاحة : « سيدى ، لدى أمر من قداسة البابا بطردك من قصره ، ويحسن بك ألا تريه وجهك بعد اليوم ! » وفى كبرياء العظيم يودع أنجلو آثاره الحبيبة وقصر البابا وروما ومن فيها ، تاركا له رسالة يخاطبه فيها بقوله : « أيها الأب المقدس ، لقد أمرت بطردى من قصرك ، ويؤسفنى أنك ستحتاج إلىّ مرة أخرى ، فإذا احتجت إلىّ — وهذا أمر ليس منه بد — فعليك أن تبحث عنى فى مكان آخر .. غير روما ! » .

ويستشعر البابا فداحة الخسارة بعد رحيله ، ويسأل عنه فيعلم أنه فى فلورنسة ، فلا يسعه إلا أن يبعث إلى حاكمها برسالة يطلب إليه فيها أن يقدم اعتذاره لأنجلو ، وأن يرجوه فى أمر العودة مرة أخرى . . ويمتنع أنجلو . . وتصل رسالة أخرى من البابا يؤكد فيها اعتذاره ويلح فى إحضاره . ويمعن أنجلو فى التغاضى وتصل رسالة ثالثة فيصر أنجلو على أن يلقاه البابا فى منتصف الطريق بين روما وفلورنسة .. وقد كان ! !

هل تستطيع أن تعثر فى العالم كله ، وفى تاريخ الفن كله ، على فنان من هذا الطراز ؟ لا أظن ! إن مايكلانجلو قد قدم أروع مثال يمكن أن يحتذيه فنان !

ترى لمن أهدى هذه القصة الفريدة فى تاريخ الفن ؟ أهديها إلى بعض الناس هنا فى مصر ، أولئك الذين دفعوا بكرامة الفن إلى الحضيض فى سبيل مآربهم الشخصية والمادية .. هل أسميه ؟ كلا . إنهم يعرفون أنفسهم .. ويعرفهم الناس !

أنور المعداوي

إعلان

يعلن مجلس البدرشين القروى تأجير الترام ممدية البدرشين — حلوان بالمزاد يوم ٤/٦ سنة ١٩٤٨ الساعة ١٠ ص لمدة ثلاث سنوات اعتباراً من ٢٠ مايو سنة ١٩٤٨ ومن يرسو عليه المزاد يدفع تأميناً قدره ٥٠ ٪ من قيمة الإيجار ؟

٩٠٦٦